سور

الكاظمية المقدسة

بُعدٌ حضاري وعمقٌ تاريخي

– دراسة استقصائية –

المؤلف

الشيخ منير صادق الكاظمي

مكتبة الجوادين العامة

الصحن الكاظمي الشريف

هوية الكتاب

الكتاب : سور الكاظمية المقدسة بُعدٌ حضاري وعمقٌ تاريخي

- دراسة استقصائية-.

المؤلف: الشيخ منير صادق الكاظمي.

الطبعة: الأولى.

المطبعة: دار المصادر للطباعة والنشر- بغداد

السنة: ١٤٤٤هـ / ٢٠٢٢م.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الاول والآخر والباطن والظاهر، وسلام على رسوله المصطفى وآله الغر النجبا دوائر العلوم وأصحاب المعارف وبعد:

لا يخفى على الخاص والعام ما لبعض الشواخص العمرانية من اثر على كل من يعيش بقربها أو يمر عليها، فكم من قوائم عمرانية شُيِّدت عبر مئات السنين ما زالت آثارها أو أخبارها تأخذ بعين المشاهد لها أو المتلقي لأنبائها إلى الكثير من المعاني والعبر، وهي في الوقت نفسه تمثل تاريخ حجر يحكي لك عن حلقات من التاريخ المجهول والمعلوم.

ومن بين تلك الشواخص ما يسمى بالأسوار وأثرها في عمارة المدن من حيثيات متعددة، وفي هذه الدراسة نقف على جزئية مهمة من تاريخ بلدتنا الكاظمية المقدسة زادها الله شرفا، ألا وهي (سور البلدة) هذا العنوان الذي يكاد ان يمتلك النزر القليل في صميم تاريخها العريق، بل تكاد ان تهمله مصادر التاريخ ، حيث لم يلح في أفق تاريخ البلدة إلا قليل من النصوص التي تحكي عن هذا السور.

فالأسوار تلك الجدران الحجرية بضخامتها وارتفاعها وأبراجها وأبوابها، انما تعطي الكثير من الدلالات والاشارات منها:

أولاً: أنها الحصون المنيعة لرد الأعادي و العوادي عن المدينة واهلها.

ثانياً: انما هي حصن يتشكل منه الامان والاطمئنان اللذان يوفران الحياة المستقرة، والاقتصاد النامي للبلد.

ثالثاً: توحي هذه الأسوار من قريب ومن بعيد على أهمية ذاك البلد بما قد يمتلكه من الآثار التاريخية والقداسة الدينية، والأهمية الاجتماعية، وهذا بدوره يجعل منه مقصدا للزوار والسياح والوفود.

وبما أن بلد المشهد الكاظمي كان من بين المدن التي شيدت به الأسوار ، فسوف نقف على تاريخ يتعلق بهذا السور الكاظمي عبر آفاق الزمن وبداياته والوقوف على أسبابه التي دعت إلى تشييده.

التمهيد

الكاظمية المسوّرة والبدايات

ما زالت الكاظمية المقدسة، بلدتنا التي شرفنا الله بها أن نكون من أهلها والمنتمين إليها، زاخرة بمآثر المجد والشرف، فقد شاء الله ان تحيطها الرفعة وجميل السمعة ،وستبقى أرض مجد رفيع باذخ، وسؤدد وشرف رفيع شامخ، وعز ظاهر، وشرف باهر، وجناب رحيب، وفناء خصيب، قد علا مجدها وطاب، وسبحان المنعم الوهاب، يوم استبطنت تربتها الأولياء، وتوشحت أرضها بقباب الأوصياء، أعني امتداد النبوة والإمامة، وعنوان الزعامة ، وأهل القيادة والسيادة والريادة، الإمام باب الحوائج موسى بن جعفر وحفيده العلي التقي محمد الجواد عليهما افضل الصلوات والتحيات، وهي بعد ذاك قد أصبحت ببركة وجودهما شرعة رواد المعارف فقصد جنابها العلماء من كل الأصقاع فكانت حلقاتها حلقات علم وأدب ودين ومجالسها جامعة للعلماء والأدباء والمفكرين، ما بين فقيه أصولي أوحد، ومرجع مجدد سند، ورثوا العلم أبا عن جد ويدا بيد، كم أسهموا وهذه أثارهم شاهدة على دفع حركة الحضارة الإسلامية نحو الأمام بعلومها وفنونها ومعارفها.

وهنا لابد من الإشارات والعبارات التي تحكي لنا عن طريق المرويات التاريخية عن بدايات البلدة من دون إسهاب، فالكاظمية

لم تكن عنوانا طارئا على التاريخ، بل تمتد مع امتداد الحقب لتحتل موقعا في أقصى وعمق الزمن، بلد تعاقبت عليه الدول والحكام ورقعة مأهولة بالسكان، عبر عشرات القرون قبل الإسلام.

وقد أشار لهذا الكثير ممن كتب ودوّن وصنَّف في تاريخ هذه البلدة، بل عندما تقف على أسمائها، ستجد ان للكاظمية أسماء وفق التاريخ القديم الذي يمتد إلى عشرات القرون قبل الإسلام، ثم أسماء وفق أوائل التاريخ الإسلامي، ففي التاريخ القديم على سبيل المثال لا الحصر (دور كاريكالزو) وفي التاريخ الإسلامي، باب التبن، ومشهد موسى بن جعفر، ومشهد الكاظمين، والكاظمية المقدسة[1]، وهذا يدلل على عراقة تاريخها مع عراقة تاريخ البشر وهنا يأتي الحديث بعد هذه المقدمة إلى (الكاظمية المسوّرة) ، ومتى بدأت عملية إنشاء السور حول المشهد بشكل خاص، ومتى بدأت ظاهرة إنشاء السور للبلدة بشكل عام، وما هي الانطباعات التي تتشكل لهذا السور المحيط بها كمدينة أو المحيط بالمرقد الطاهر على مشرفيه آلاف التحيات والصلوات، وقد خرجت الدراسة بعنوان:

---

[1] ينظر في هذا آل ياسين: محمد حسن، تاريخ المشهد الكاظمي، ط الاولى: ١٩٦٧م، مط: المعارف، بغداد، ص١٠ ؛ وينظر ايضا: مشهد الكاظمين، د: مصطفى جواد (تح: الشيخ غزوان الكليدار)، العتبة الكاظمية المقدسة، ط الاولى، ٢٠١٥م، ص١٩.

(**سور الكاظمية المقدسة بُعدٌ حضاري وعمقٌ تاريخي**)، وكانت في ثلاث مباحث استفاضت بها أصول تاريخية معتبرة، نأتي على بيانها انشاء الله.

والمباحث الثلاث هذه انما حددناها بهذا العدد، لما اقتضته هيكلية الدراسة ، ولأنه عند محاكات التاريخ في هذا الشأن فسوف نجد إمامنا ثلاث إتجاهات من النصوص قد تحدد بناء هذا السور وحتى انتهاءه وتلاشيه، ذكرتها أسفار التاريخ ومدوَّنات الكتب، سائلين الله جل شأنه التأييد والتسديد لخدمة البلدة المقدسة زادها الله شرفا ورفعة بالإمامين الهمامين الكاظمين (عليهما السلام) لا حرمنا الله جوارهما بالصلاح والاستقامة والسلامة، وشفاعتهما بالآخرة انه سميع مجيب.

المبحث الاول

السور الكاظمي وقدم التأسيس

وقبل الخوض بالوقوف على ما تضمنته الوثائق والكتب في بيان المراحل الاولى لبناء السور حول المرقد الطاهر وحول هذه البلدة المقدسة، فهناك حقيقة تشير إلى أن ما يسمى بالمدن المسوّرة كانت شائعة في ربوع العراق القديم، مما ميّز مُدُنَه في بلاد ما بين النهرين بالأسوار المحيطة بها، وما هذه الأسوار وبناؤها إلا كونها تحمل صفة طبيعة يحتاجها أهل البلد تكمن من ورائها أسباب، منها.

الأهمية الدينية والاجتماعية للبلد، والمشهد الكاظمي يحتل من بين المدن المقامات والمقومات العليا في هذا الشأن، التي دفعت بالحكومات إلى بناء الأسوار، سواء حول المرقد أو حول المدينة بشكل عام، وأول المؤشرات التاريخية التي حفظها لنا التاريخ والتي تحكي عند البدايات في هذا.

يقول العلامة الدكتور مصطفى جواد: (وفي سنة ٣٦٧هـ-٩٧٧م) بنى الملك أبو شجاع عضد الدولة فنا خسرو سوراً على مشهد موسى بن جعفر)[١]، ويعضد بناء هذا السور النص الذي ذكره صاحب تاريخ المشهد الكاظمي مبيناً أسباب بناء هذا السور بقوله: (ولما زادت دجلة زيادتها العظيمة في عام ٣٦٧هـ غرقت جهات

[١] مصطفى جواد، مشهد الكاظمين، ص٣٨.

كثيرة من الجانب الشرقي ببغداد وغرقت أيضاً مقابر باب التبن بالجانب الغربي منها، ولعل هذا الغرق هو الذي حدا بأبي شجاع عضد الدولة إلى بناء سور حول المشهد – المشهد الكاظمي – أو أنه كان له سور تهدَّم بالغرق السالف الذكر فأعاد عضد الدولة تشييده[1].

ثم إن قول الشيخ محمد حسن آل ياسين حاكيا عن سور تهدّم قبل هذا السور بالغرق هو عين ما ذكره نفسه في ما يتعلق بعمارة معز الدولة البويهي في عام ٣٣٤هـ ،حيث يقول واصفا تلك العمارة للمشهد: فجددت العمارة ووضع على القبرين ضريحين خشبيين من خشب الساج، وقبتان فوقهما من الساج أيضا، وأدير عليهما حائط كالسور[2].

وفي هذا قال صاحب (صدى الفؤاد) في أرجوزته التي تخص تاريخ وعمارة المشهد الكاظمي ما نصه:

ثم أتى (العضد) لها المساور فكثر الزائر والمجاور
إذ زعموا به تزال الفتن وهل فتى من الزمان يؤتمن
نعم أمد فيهم ألطافه وسَوَّر البلدة من مخافة[3]

---

[1] آل ياسين: محمد حسن، تاريخ المشهد الكاظمي، ص٢٥.

[2] المصدر نفسه، ص٢٤.

[3] السماوي: محمد بن طاهر، صدى الفؤاد إلى حمى الكاظم والجواد (شرحه: مركز احياء التراث في العتبة العباسية التابع لمركز المخطوطات)، مكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة، مط: دار الكفيل كربلاء، ط الاولى، ١٤٣٦هـ ص٢٠٣ – ٢٠٤.

قال الشارح: وهنا اشار الناظم إلى السور الذي جعله العضد حول المشهد ليقيه من الفيضانات والهجمات[1].

وممن أشار لبناء هذا السور الشيخ النقدي عندما ذكر العمارات التي أجراها عضد الدولة البويهي بقوله: وجدد ما دثر من الأنهار وأعاد حفرها وتسويتها، وبنى سوراً حول أبنية المشهد الكاظمي و.و...[2]، ويبدوا عند التتبع لأخبار هذا السور إنه لم يكن يضم المشهد حصرا، بل هناك بيوت وأبنية أخرى، ويتبين هذا أيضاً من خلال ما ذكرته بعض الأخبار منها:

ما رواه ابن الأثير في عنوان فتنة العامة في بغداد وحرق المشهد وبعض أفعالهم يقول: ((قصدوا مشهد باب التبن فأغلق بابه، فنقبوا في سوره وتهدَّدوا البواب، فخافهم وفتح الباب فدخلوا ونهبوا ما في المشهد من قناديل ومحاريب ذهب وفضة وستور وغير ذلك، ونهبوا ما في الترب والدور، وأدركهم الليل فعادوا))[3]. وهو يشير إلى وجود دور مسكونة داخل السور وفي هذا يقول صاحب مشهد الكاظمين: ((وكذلك نهبوا ما في ترب - يعني بها القبور ذات القبة

---

[1] السماوي: صدى الفؤاد إلى حمى الكاظم والجواد ، ص٢٠٤.

[2] النقدي: الشيخ جعفر، تاريخ الامامين الكاظمين (تح: الشيخ غزوان الكليدار)، العتبة الكاظمية المقدسة، مط: دار الرافدين، بيروت - ٢٠١٤هـ، ص٨١.

[3] ابن الاثير علي بن محمد، الكامل في التاريخ، دار الكتب العلمية- بيروت، ط الرابعة، ١٤٢٤هـ، ج٨، ص٣٠١.

– المدفونين في المشهد وقبابهم وفي دور الساكنين هناك وأدركهم الليل فعادوا))[1].

ويتبين من هذا النص أن السور لم يُحط بالمشهد فقط، بل أن هناك بيوت ومساكن توحي بان (مقبرة قريش) في وقت هذا السور كانت مأهولة بالسكان، ويعضد هذا القول، ما جاء في تاريخ المشهد الكاظمي ما نصه: وفي أوائل الربع الثاني من القرن الخامس على وجه التحديد كانت عمارة المشهد قد بلغت غاية فخامتها وروعتها وزينتها وجلالها وأصبحت زاخرة بالقناديل والمحاريب و ... كما كان للمشهد يومذاك سور يدور حوله، وأبواب للدخول والخروج وبوابون مسؤولون عن كل ذلك وترب ودور يسكنها الناس والى غير ذلك مما لم يصل الينا[2].

فلاحظ الاشارة إلى ما يتضمنه السور في داخله من دور سكن، والنظام المتبع بالمدينة من حيث الدخول اليها وإلى المشهد، مما قد سجلت هذه الروايات والأخبار ما يشير إلى ان السور هو سور بلدة وان كانت صغيرة في تلك الحقب والسنين.

ومما يدلل على وجود البيوت وساكنيها قبل بناء السور من قبل عضد الدولة البويهي في التاريخ المشار اليه وقبله، الذي اشرنا اليه

---

[1] مصطفى جواد، مشهد الكاظمين، ص٤١. وهذا ما ذكره أيضاً الشيخ محمد حسن ال ياسين في تاريخ المشهد الكاظمي في الصفحة ٢٧من الكتاب.

[2] ال ياسين: الشيخ محمد حسن، ص٢٧.

أعلاه، الحادثة التي يرويها ابن الاثير في أحداث عام ثلاثمائة واثني عشر من الهجرة، في ذكر قتل ابن الفرات وولده المحسن فيقول: ((ذكر قتل ابن الفرات وولده المحسن)).

وكان المحسن[1]، ابن الوزير ابن الفرات مختفياً، كما ذكرنا، وكان عند حماته حزانة، وهي والدة الفضل بن جعفر بن الفرات، وكانت تأخذه كلّ يوم إلى المقبرة، وتعود به إلى المنازل التي يثق بأهلها عشاء وهو في زيّ امرأة، فمضت يوماً إلى مقابر قريش، وأدركها الليل، فبعد عليها الطريق، فأشارت عليها امرأة معها أن تقصد امرأة صالحة تعرفها بالخير، تختفي عندها، فأخذت المحسن وقصدت تلك المرأة وقالت لها: معنا صبيّة بكر نريد بيتاً نكون فيه؛ فأمرتهم بالدخول إلى دارها، وسلّمت إليهم قبّة في الدار، فأدخلن المحسن إليها، وجلست النساء اللائي معه في صفّة بين يدي باب القبّة))[2].

---

[1] المحسن بن علي بن محمد ابن الفرات (٢٧٩هـ-٣١٢هـ): من أبناء الوزراء، في سيرته عسف وجبروت. كان مع أبيه وولاّه أبوه "ديوان المغرب" سنة ٢٩٧ وعزلا معا ونكبا سنة ٣٠٦ ثم عاد أبوه إلى الوزارة (سنة ٣١١) وهي وزراته الثالثة، فأطلق يد "المحسن" في أمور الدولة، فبالغ في الانتقام من خصومه وخصوم أبيه، وعذب وغرب. ولم تطل مدتهما، وكان الخليفة (المقتدر العباسي) مغلوب على أمره لهما ولغيرهما من خاصته وغلمانه، فتحول عن رأيه فيهما، وأباح القبض عليهما، ثم أمر بقتلهما، وجئ برأسيهما. ووضع الرأسان في مخلاة وألقيا في دجلة. ينظر الزركلي: خير الدين، الاعلام، دار العلم للملايين- بيروت، ط الخامسة، ١٩٨٠م، ج٥، ص٢٨٨.

[2] ابن الاثير علي بن محمد، الكامل في التاريخ ،ج٧، ص٢٠ ؛ ينظر أيضاً ابن مسكويه، تجارب الامم وتعاقب الهمم وذيوله، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الاولى: ٢٠٠٣م، ج٥، ص٧٣ ؛ وأشار اليها مصطفى جواد، مشهد الكاظمين، ص٢٩.

ومن مجموع هذه الأخبار التي تكشف عن مدى اهتمام السلطة آنذاك بتشييد السور حول المرقد الطاهر، وكون المشهد قد تأصل السكن فيه حتى انه صحّ في بعض الأخبار بأن يطلق على المقيمين فيه من الاشراف العلويين وغيرهم إسم (السكان) ، وذلك من خلال ما أطلقه عضد الدولة البويهي لهم من صلات ، فالبلدة تشهد حياة عامرة بالسكان والزوار، والسور فيها قد وفّر نوعا من الحماية وصدا لهجمات المعتدين. مما يدلل من قريب وبعيد على حياة مأهولة بالسكن وعمارة بالبلدة.

يقول ريتشارد كوك ، فيورد في كتابه (بغداد مدينة السلام): ((وبانحطاط بغداد الغربية في السنين المتأخرة، وتقلص حجمها، بَطُلَ استعمال المقبرة للدفن فنشأ رَبض مستقل حول ضريحي الإمامين له أسواقه وأسواره))، جاء هذا الحديث للمؤلف بعد أن تعرّض إلى تاريخ الإمام الكاظم (عليه السلام) وحفيده الجواد (عليه السلام) وفنهما في هذه البقعة [1].

أقول: وقد غلب على اسم هذ السور بسور المشهد، ذلك لأن البلدة لم تكن لترتقي إلى مسمى المدن الكبار ، فهي مازالت في بداياتها.

---

[1] الخليلي، جعفر: موسوعة العتبات المقدسة (قسم الكاظمين)، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط الثانية، ١٤٠٧هـ قسم الكاظمية في المراجع الغربية، جعفر الخياط، ج٩، ص٢١٥.

المبحث الثاني

الكاظمية المسورة حاضرة مدنية ومجال علمي

وهنا بدأ التاريخ الكاظمي يحكي لنا عن توسع البلدة المقدسة، واحتياجها إلى ما يحمي أهلها وحياتها الفاعلةبصورة أكبر ، وفي هذه المرحلة من تاريخ هذا الشاخص العمراني (السور) بدأت الأخبار والمرويات التاريخية تشير إلى انفصال عنوان السور إلى صورتين.

الاولى: تحكي عن سور كبير يحيط بالمدينة.

والثانية: تحكي عن السور الخاص بالمرقد المطهر.

فقد ذكره ياقوت في معجم البلدان فيما يتعلق ببناء السور الخاص بالمدينة واصفا المدينة المقدسة بقوله (انها محلة عامرة ذات سور مفردة)[1].

قال مصطفى جواد معلقا على هذا النص: (أرادَ بالمفردة أنها غير متصلة بمحلة أخرى)[2].

أقول وهذا الكلام لياقوت يشير إلى مدى مأهوليه البلدة بالحياة والسكان وغير ذلك، وفي قول صاحب مشهد الكاظمين ع ما يشير

---

[1] الحموي: ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، دار صادر – بيروت، ط الاولى، ١٩٩٣م، ج١، ص٣٠٦.

[2] ينظر: مشهد الكاظمين، ص٥٧.

أيضاً إلى ما تمتلكه البلدة من المقومات التي أعطتها صفة الاستقلالية في كل الأصعدة الحياتية عن غيرها من محلات بغداد.

ويشير ياقوت في موضع آخر من معجمه البلداني فيما يتعلق بـ(مقابر قريش) بالقول: (مقبرة مشهورة ومحلة فيها خلق كثير وعليها سور بين الحربية ومقبرة أحمد بن حنبل والحريم الطاهري)[1].

ومحلة الحربية المعنية في النص أعلاه هي التي تقع في شمال مدينة المنصور، وعلى وجه الدقة في الناحية الشمالية الغربية بالنسبة إلى المدينة، تنسب إلى حرب بن عبد الله من أهل بلخ، قرّبه المنصور اليه وجعله صاحب شرطة بغداد، ومعظم سكان الحربية من الفرس والترك[2].

وأما الحريم الطاهري وهو أحد القطائع الممتدة على نهر دجلة ينسب إلى طاهر بن الحسين ، موضع الحريم يقع الان في شمال قصور عبد الحسين الجلبي نحو دجلة وكان مُسوَّراً، وله أبواب تفتح وتغلق، وفيها بنى الخليفة الناصر ما يسمى برباط الحريم[3].

---

[1] معجم البلدان، ج٥، ص١٦٣.

[2] ينظر: دليل خارطة بغداد، مصطفى جواد- احمد سوسة، مط: المجمع العلمي العراقي - ١٩٥٨م، ص٩٤.

[3] دليل خارطة بغداد ، ص٩٤ - ٩٥.

ومقبرة أحمد بن حنبل أحد أئمة المذاهب توفي عام ٢٤١هـ وتسمى (مقبرة باب حرب) وهي التي قرب شارع الدجيل، قرب البوابة الحالية للكاظمية من جهة الشمال[١].

وفي النص الأخير لياقوت هذا ما يشير إلى تحديد مساحة هذا السور والمناطق التي يمتد فيها، وكثرة السكان والزوار والمرتادين لهذا المشهد المقدس.

وهنا لابد من إشارة تتعلق بهذه النصوص وحصرا فيما يتعلق بالسور:

الأولى: ان هذا السور هو غير ذاك الاول حيث يضم الأخير مما يبدو مساحة أوسع للبلدة والمشهد، وزمن تشييده كان في فترة حكم الناصر لدين الله ، وبداية تشييده كانت سنة ٦٠٤هـ في شهر رمضان، حيث وقتذاك صدر أمر الناصر لدين الله بحملة من الأعمار شملت بناء دور في محال بغداد ومن بينها الكاظمية، وقد ذكر صاحب تاريخ الإمامين الكاظمين ما نصه ((وفي أيامه -يعني الناصر لدين الله- بنى سور حول الكاظمية، لأن سور الصحن لم يكن كافيا لرد الايدي الفاسدة عن الروضة المنورة وأحكم ليكون سدا لطغيان الماء))[٢].

---

[١] دليل خارطة بغداد ، ص٩٧.

[٢] النقدي: الشيخ جعفر، تاريخ الامامين الكاظمين وروضتهما الشريفة (تح: الشيخ غزوان سهيل الكليدار)، العتبة الكاظمية/ الشؤون الفكرية، ط الاولى، ٢٠١٤م، مط: الرافدين، بيروت، ص٨٦

وهذا عين ما أ شار اليه مصطفى جواد في شأن بناء هذا السور موضحا الأسباب والتي منها وقوع الفتن بسبب ضعف الخلفاء وبعض المتعصبين من الوزراء فيقول :(بعثت المعنيين بأمر المشهد الكاظمي أن لا يقصّروا ببناء السور عليه ،بل أن يتخذوا للبلدة الصغيرة سوراً)[١].

إلا أن الشيخ جعفر النقدي يشير إلى ان هذا السور تلاشى وتهدَّم نتيجة الغرق بعد ذلك بفترة ليس بالبعيدة ثم أعيد بناؤه فيقول ((وفي سنة ٦١٤هـ زادت دجلة زيادة عظيمة لم يشاهد مثلها في قديم الزمان ... وعم الغريق الدور والبيوت، وتلاشى السور الجديد، وسور الصحن وداخل الروضة وتهدمت الحيطان، وخربت الجدران، وبعد أن غار الماء، جدد الخليفة الناصر البناء))[٢].

وقد سجل السماوي في أرجوزته ما يشير إلى ذلك بقوله:

وشيد السور له بالرمّ على يدي ذاك الوزير القمي[٣]

---

[١] ينظر مشهد الكاظمين، ص ٥٧.

[٢] تاريخ الامامين الكاظمين وروضتهما الشريفة، ص٨٧

[٣] مؤيد الدين محمد بن محمد بن عبد الكريم برر القمي: هو قمي الأصل والمولد. بغدادي المنشأ والوفاة. ينتسب إلى المقداد بن الأسود الكندي. كان رحمه الله بصيراً بأمور الملك خبيراً بأدوات الرئاسة عالماً بالقوانين. عارفاً باصطلاح الدواوين. خبيراً بالحساب. ريان من فنون الأدب. حافظاً لمحاسن الأشعار. راوياً لطرائف الأخبار، ومازال القمي على سدادٍ من أمره، تولى الوزارة للناصر ثم للظاهر قم للمستنصر حتى قبض عليه المستنصر وحبسه في باطن دار الخلافة مدة، فمرض وأخرج مريضاً، فمات، رحمه الله، في سنة تسع وعشرين وستمائة. ينظر: ابن الطقطقي، محمد بن علي، الفخري في الاداب السلطانية، دار صادر، بيروت، ط الاولى، ص٣٢٦.

قال الشارح للأرجوزة بخصوص كلمة (الرمّ): ويحتمل بالرمّ وهو الاصلاح والترميم[1]، وهو قريب مما ذكرنا.

ثانياً: يتبين ومن أحداث الغرق أن السور في زمن الناصر تم تشييده مرتين بفعل الغرق، والملاحظ من حرص المسؤولين على ادامة السور وابقاء المدينة على الطابع المسوّر لها ويبدوا ان هذا السور هو المعني بما أشار اليه صلاح الدين بن أيبك، ونقل عنه ابن الساعي عندما يصف بغداد ومحلاتها في أوائل القرن الثامن للهجرة، حيث يحكي هذا الوصف للكاظمية بالمدينة الواسعة وما لها من رفعة ومعيشة، فقال بوصفه لبغداد (وبغداد عبارة عن سبع محلات لا تفتقر محلة منها إلى غيرها فالأولى الرصافة، والثانية مشهد أبي حنيفة مسورة، والثالثة جامع السلطان غير مسوَّرة، والرابعة مدينة المنصور في الجانب الغربي وتسمى باب النصرة -البصرة-، والخامسة مشهد موسى بن جعفر مسوَّرة، والسادسة الكرخ مسوَّرة، والسابعة دار القز مسوَّرة)[2].

وهنا وفي هذا الوصف يصنف المؤرخ من هي من المدن المسوَّرة وغير المسوَّرة:

---

[1] صدى الفؤاد إلى حمى الكاظم والجواد (عليهما السلام)، ص٢١٤.

[2] ابن الساعي: علي بن انجب، مختصر أخبار بغداد، مط: الاميرية بولاق / مصر، ط الاولى، ١٣٠٩هـ ص١١. وعنه نقل مصطفى جواد ينظر: مصطفى جواد، مشهد الكاظمين، ص٦٨ - ٦٩. وقد أجاد المحقق في بيان المصادر التي ذكرت هذه التقسيمات.

يقول مصطفى جواد: (وفي هذا القول دليل على ان بلدة المشهد الكاظمي كانت مسوَّرة في أوائل القرن الثامن مثل سائر المحال ببغداد، تقفل أبوابها بالليل وتفتح بالصباح)[1].

نعم كلام هذا المؤرخ هنا يشير لها بسورها الذي كان يحيط ببلدة كبيرة عظيمة اخذت مجالها الجغرافي الاوسع، وهذا لا ينفي كونها ذات سور حتى في بداية سكانها القلائل وفي بدايات نشوئها الاول.

ثم إن هذا التشكيل الحياتي والجغرافي والعمراني يوحي بطبيعة الأنظمة المدنية والحضارية لأهل المشهد، بل لمن يقصده من الزوّار والسياح، من حيث الدخول والخروج منه.

ثالثاً: ومما يؤشر على بلوغ البلدة المكانة الحضارية ذات المقام العلمي، ما ذكره المؤرخون، وقد أشاروا إلى أفعال الناصر لدين الله بالقول: ((وفي سنة ٦٠٨هـ أمر الخليفة الناصر لدين الله بقراءة مسند أحمد بن حنبل في مشهد الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) على صفي الدين محمد بن معد الموسوي العلامة الفقيه الامامي، بإجازة له في سماع المسند المذكور من الناصر نفسه، وأول من قرأ عليه مسند أبي بكر وحديث فدك وما جرى فيها))[2]. يقول مصطفى جواد في هذه

---

[1] ينظر: مصطفى جواد، مشهد الكاظمين، ص٦٩.

[2] مصطفى جواد، مشهد الكاظمين، ص٥٨ ؛ اليافعي : عبد الله بن أسعد، مرآة الزمان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الاولى – ١٤١٧هـ، مج ٨، ق ٢، ص ٥٥٦.

الافعال من قبل الناصر لدين الله: ((قد جمع شمل الامة الإسلامية، ووحد الملة المحمدية، فبذلك جعل المشهد مدرسة للحديث والعلوم الإسلامية، كما ان جماعة من العلماء وقّفوا كتبهم على المشهد المذكور))[1]، وهذه اشارات وعبارات ونصوص تدلل على تعاظم أمر البلدة وعلو مقامها وسمو رفعتها آنذاك من بين مدن بغداد وبلد العراق. ومن طرائف الانتساب بلقب (الكاظمي)، أن السيد الجليل عبد الكريم ابن طاووس غياث الدين المولود في شعبان سنة ٦٤٨هـ والمتوفى في شوال سنة ٦٩٣هـ والذي انتهت اليه رئاسة السادات وهو أوحد زمانه يلقبه ابن داوود في رجاله بـ(حلي المولد، بغدادي التحصيل، كاظمي الخاتمة) [2]، وفي هذا يقول الشيخ آل ياسين في كتابه تاريخ المشهد الكاظمي عندما يترجم له من حيث وجوده في الكاظمية : كما يؤيده أيضاً سكناه في مشهد موسى بن جعفر (عليه السلام)، وتلقيبه بالكاظمي لاستدامة مكثه هناك.

أقول: وفترة حياته هذه من هذه الحقبة، بدأت الكاظمية تأخذ بها مجال المدن التي ينتسب اليها من سكنها .

وعودا للحديث أكثر فيما يتعلق بسور البلدة هذا، فلقد كان مما يبدو ان هذا السور في هذه الفترة، كان محكماً في بنائه قويا أمام ما

---

[1] مصطفى جواد، مشهد الكاظمين، ص٥٨.

[2] ابن داوود : الحسن بن علي الحلي، رجال ابن داوود (تقديم السيد محمد صادق بحر العلوم) ، النشر والمطبعة : المطبعة الحيدرية- النجف ، ١٩٧٢م . ج١، ص٣.

يعتريه من طارئ الزمن، مما قد تسببه أحداث الطبيعة، حيث صمد وبقي جراء الغرق الذي أصاب بغداد، وهو غرق شديد ترك آثاراً من الخراب وموتاً في العباد والبلاد كان سنة ٧٢٥هـ قال صاحب شذرات الذهب ((وفي جمادى الأولى كان غرق بغداد المهول، وبقيت كالسفينة، وساوى الماء الاسوار، وغرق أُمم لا تحصى، وعظمت الاستغاثة بالله تعالى، ودام خمس ليال، وقيل تهدم بالجانب الغربي نحو خمسة آلاف بيت))[١].

وخمسة آلاف بيت التي تهدمت في الجانب الغربي دلالة إلى عظمة السكان آنذاك في هذا الجانب ولاسيما بلد المشهد الكاظمي على مشرفيه افضل التحية والسلام.

ويبدو من تتبع الأخبار ان هذا السور بقي ممتدا حتى تلاشت شواخصه إلى قرون متأخرة وحتى اندثاره وزوال آثاره.

---

[١] ابن العماد: عبد الحي بن احمد بن محمد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط الثانية، ٢٠١٢م، ج٦، ص٢٢٣.

المبحث الثالث

شاهق السور بين الرصد والمشاهدة

وفي هذا المبحث ننتقل بالحديث من لغة الوثائق وما دونته الاقلام، وصحف التاريخ المكتوب إلى لغة الواقع المشهود لصورة هذا السور حيث نقف على المشاهدات التي سجلها بعض الرحالة لهذا السور الذي امتد إلى فترة القرن الثاني عشر الهجري على وجه التقريب، وبدأت انهياراته وتلاشيه في القرن الثالث عشر، إذ لم يبق منه الا رمم وشواخص متقطعة حتى محيت آثاره تماماً، ولم يشر أحدٌ ممن كتب من المعاصرين في شأن هذه البلدة ما يشير إلى نهايات السور كيف كانت.

ومن بين تلك المشاهدات التي ذكر أصحابها ما يتعلق بهذا السور ما ذكره أبو طالب خان أحد الرحالة إلى بلد العراق واثناء مروره ببلد الكاظمين وكان زمن الرحلة سنة ١٢١٣هـ - ١٧٩٩م يقول: ((في بلد المشهورين بأسم (كازم) (الكاظم) ومنه أخذ اسم الكاظمين الذي اطلق على المشهد الذي هما فيه ... وقد سكن محلى كبيرة منها اجانب من الفرس والهنود، ويحيط بها سور من الرهص*))[1].

* الرهص: الطين الذي يُبنى به. الشرتوني اللبناني، سعيد الخوري، أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد، منظمة الأوقاف الشلون الخيرية، دار الاسوه للطباعة والنشر، طهران، ١٣٨٥هـ ج٥، ص٤٤٥.

[1] ينظر: رحلة ابي طالب خان (ترجمة د. مصطفى جواد)، دار الوراق، بغداد، ط الاولى، ٢٠٠٧م، ص ٢٥٩.

وفي هذا النص ما يشير إلى بقاء هذا السور بشكله الكامل ، وهنا لابد من الاشارة إلى مجموعة من الملاحظات منها .

بعد عمارة ورعاية الخليفة الناصر لهذا السور – سور البلدة – لم تتوجه الحكومات التي توالت على العراق بالعناية بهذا السور، وان كانت هناك شيء من هذا فلم نر في التاريخ ما يفصح عنه، وعدم الاعتناء بهذا السور وتجديد ما بلي منه، وهذا الاهمال يعود لأسباب منها اتساع المدينة وابنيتها وعماراتها حتى تخطت حدوده، ووجود الرغبة عند الحكومات في رفع التقسيمات التي كانت عليها العاصمة (بغداد) قديما واظهارها كمدينة واحدة ، ما يؤشر إلى بقائه كشاخص وزوال ما يترتب على وجوده من نظام بالنسبة إلى الدخول والخروج من بواباته التي تحكي عن استقلالية للبلدة المقدسة، بقي ان نشير إلى أن المصادر خلت من تعيين تلك الابواب ومواقعها، لأن في البلد الكاظمي هناك الكثير من الشواخص المكانية والعمرانية التي نقرأ عنها، لكنها في الوقت نفسه هي في حلقة التاريخ المجهول، وجدير بأصحاب التحقيق ان يقفوا عليها واستخراجها فان من ورائها تكمن زوايا وأخبارا من التاريخ الذي يتعلق بهذه البقعة المباركة .

بقي أن نشير إلى أن من أسباب تهدم هذا السور الفيضانات وصراع الدول التي توالت على حكم العراق، ففي حصار بغداد من كتاب (تاريخ العراق بين احتلالين) ما نصه : ((وإنَّ سور الجانب

الغربي تهدم بسبب طفيان دجلة فبقي مفتوحاً، وحينئذٍ وظّف عسكر عقيل مع سليمان آغا الخازن لمحافظة باب الكاظمية[1].

[1] العزاوي، عباس: تاريخ العراق بين احتلالين، المكتبة الحيدرية، قم المقدسة، ط الأولى، ١٤٢٥هـ، مط شريعت، ج٦، ص٣١٨

الخاتمة :

واختتم الحديث في هذه الاوراق بالقول: إن وجود الأسوار حول المدن دليل على عظمتها وأهميتها ورفعة مكانها بين المدن على المستوى الديني والعلمي والاجتماعي والاقتصادي، وهذه قيم ان توفرت في بقعة، فإنها تشير إلى قيمها الحضارية والمدنية، والكاظمية احتلت من بين المدن في هذا الشأن الشيء الكثير، وأهم مقومات العظمة في هذا المجال انها ضمت بتربتها روحين لرسول الله وإمامين من أئمة المسلمين الذين فرض الله على الخلق ولايتهم، أعني بهما الامام السابع موسى بن جعفر والامام التاسع محمد الجواد (عليهما السلام) اقحوانة الامامة وامتداد النبوة، ومشهدهما المبارك الذي تشرف بزيارته ملايين البشر عبر السنين وحظي باهتمام الملوك والسلاطين بخدمتهما، مما أكسبها أعلى درجات القداسة والمقام الروحي والمعنوي، إضافة لما تتمتع به من إنها توطَّن سكناها العلماء والعظماء من المسلمين، فحظوا بالجوار المقدس للإمامين في الحياة والممات، وكذلك نشوء المدارس فيها، وانها مقصد طلاب العلم، ومزارا للمسلمين والرحالة والمستشرقين[1].

[1] ينظر: الخزعلي: سمير اموري رؤوف، الكاظمية في عيون الرحالة والمستشرقين (راجعه: مركز السيد هبة الدين الحسيني)، مؤسسة السيد هبة الدين الحسيني، مط: دار الرافد – قم، ط الاولى – ٢٠١٨م. وفي هذا المصنف وقف المؤلف على احصاء الكثير من الرحالة الاجانب من المسلمين وغير المسلمين ومن مختلف الناس والاجناس لزيارة هذا المرقد وتسجيل مشاهداتهم واعجابهم بالبلدة المقدسة.

ان قدم السور الذي امتد مع الخطوات الاولى لعمارتها دليل على انها سبقت غيرها من المدن في الأهمية في هذا البلد.

وقبل أن أنهي هذه الأسطر، ولبيان عظمة مقام البلدة المقدسة والتي استعرضنا بها ما يتعلق بسورها، فقد ورد في الخبر ما يدلل على أن شرف البلدة من شرف المشهد المبارك للإمامين الكاظمين العظيمين (عليهما السلام)، وهو شرف من الله جلّ شأنه، يقول علي بن عيسى الاربلي في كتابه كشف الغمة ما نصه: ((قال الفقير إلى الله تعالى علي بن عيسى أثابه الله تعالى حكى لي بعض الأصحاب أن الخليفة المستنصر رحمه الله تعالى مشى مرة إلى سر من رأى وزار العسكريين (عليهما السلام) وخرج فزار التربة التي دفن فيها الخلفاء من آبائه وأهل بيته وهم في قبة خربة يصيبها المطر وعليها زرق الطيور وأنا رأيتها على هذه الحال فقيل له أنتم خلفاء الأرض وملوك الدنيا ولكم الأمر في العالم وهذه قبور آبائكم بهذه الحال لا يزورها زائر ولا يخطر بها خاطر وليس فيها أحد يميط عنها الأذى وقبور هؤلاء العلويين كما ترونها بالستور والقناديل والفرش والزلالي والفراشين والشمع والبخور وغير ذلك فقال هذا أمر سماوي لا يحصل باجتهادنا ولو حملنا الناس على ذلك ما قبلوه ولا فعلوا وصدق رحمه الله فإن الاعتقادات لا تحصل بالقهر ولا يتمكن أحد من الإكراه

عليها))[1]. نعم في هذا ما يدلل مع العشرات من هذه النصوص على أن يد الله ورعايته لهذه المشاهد المشرفة بآل محمد عليهم السلام ، أمر يقره الخاص والعام ، فعليهم آلاف التحية والسلام .

هذا ما سمحت به أوراق البحث ولله الامر من قبل ومن بعد.

أخيرا كتبت هذه الاسطر وأنا متشرف في الصحن الشريف للإمامين الكاظمين (عليهما السلام)، راجيا بهما القبول من الله، وانا مستجير بذمتهم حيا وميتا، ان لا يحرمني جوارهم المبارك بالدنيا وشفاعتهم وشفاعة آبائهم الكرام وابنائهم العظام في الآخرة، وهذا اقصى المراد يوم الورود انه سميع مجيب.

مكتبة الجوادين العامة المباركة مرقد ومؤسسة السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني قدست نفسه.

---

[1] الاربلي: علي بن عيسى، كشف الغمة في معرفة الائمة (تج: علي الفاضلي)، الناشر : مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام - ١٤٢٦هـ سنة الطبع - ١٤٢٦هـ مط: ليلى - قم ، ج٤، ص٢٧١.

الملاحق

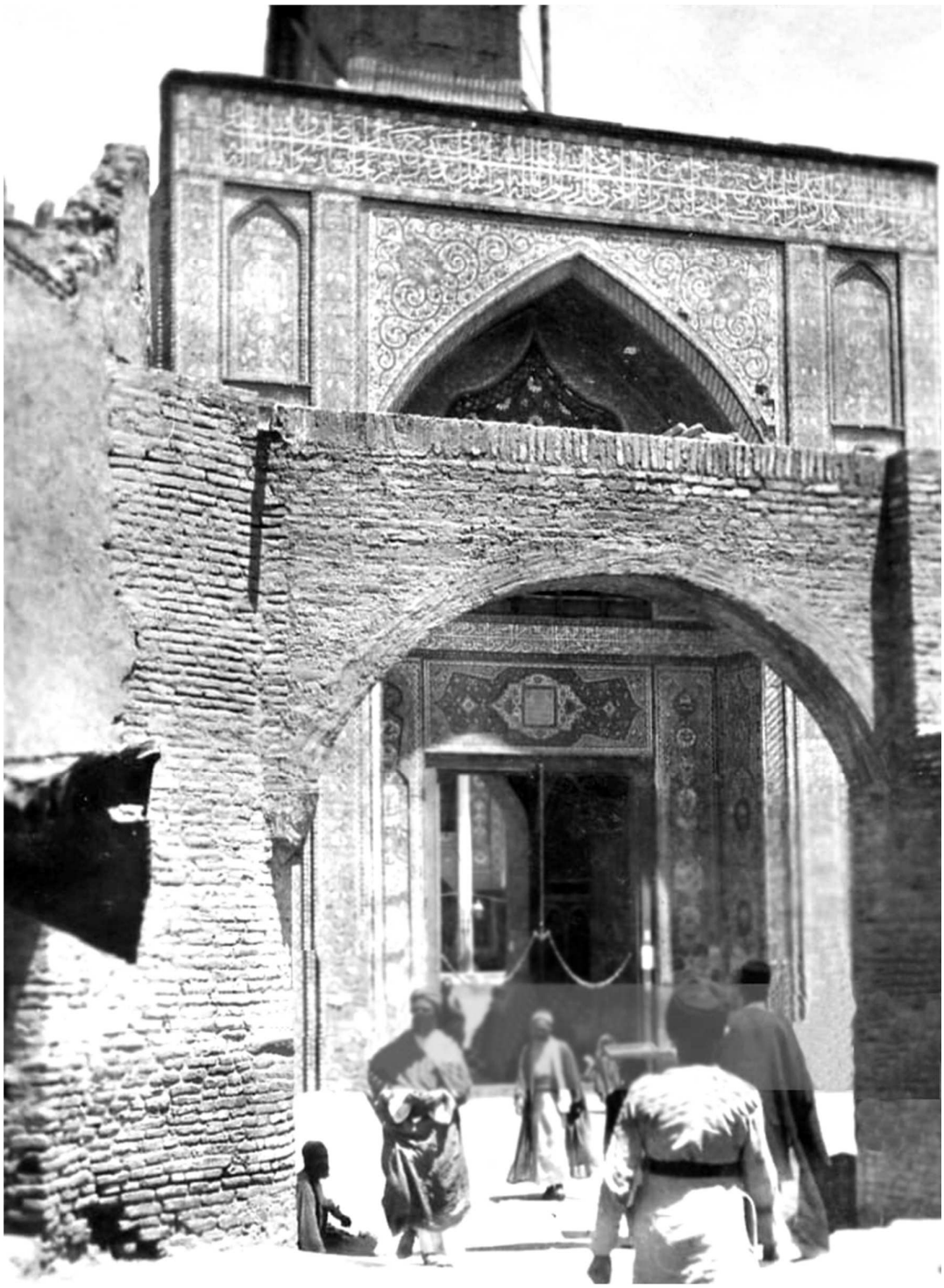

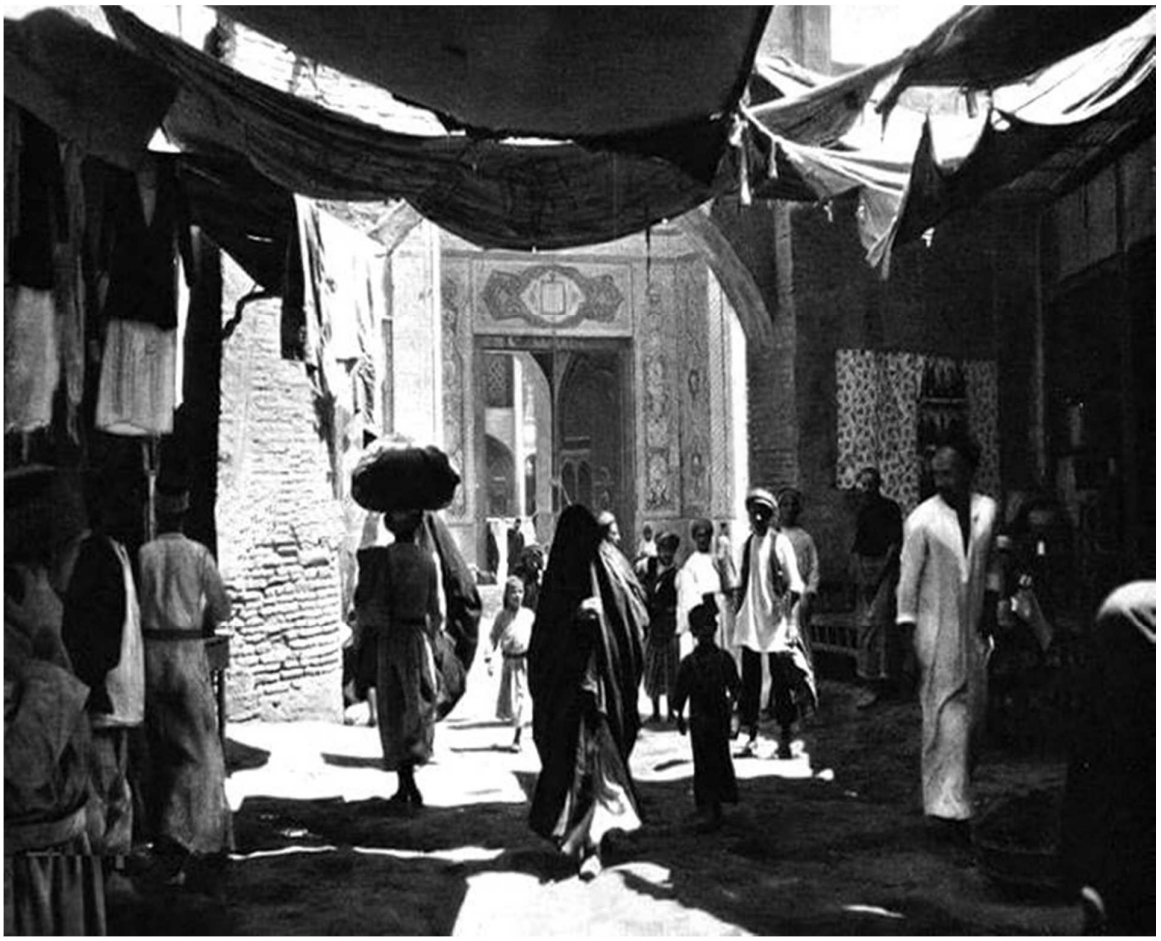

مصادر الدراسة

- آل ياسين: الشيخ محمد حسن (ت ٢٠٠٦م)

١. تاريخ المشهد الكاظمي، ط الاولى: ١٩٦٧م، مط :المعارف، بغداد.

- الأربلي : علي بن عيسى (ت ٦٩٢هـ)

٢. كشف الغمة في معرفة الائمة (تج: علي الفاضلي)، الناشر: مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام)- ١٤٢٦هـ سنة الطبع ١٤٢٦هـ، مط: ليلى – قم.

- ابن الاثير علي بن محمد (ت ٦٣٠هـ)

٣. الكامل في التاريخ، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت، ط الرابعة، ١٤٢٤هـ

- ابن داوود : الحسن بن علي الحلي (ت٧٠٧هـ)

٤. رجال ابن داوود (تقديم السيد محمد صادق بحر العلوم) ،النشر والمطبعة :المطبعة الحيدرية- النجف ، ١٩٧٢م .

- ابن الساعي: علي بن انجب (ت ٦٧٤هـ)

٥. مختصر أخبار بغداد، مط : الاميرية- بولاق – مصر، ط الاولى: ١٣٠٩هـ

- ابن الطقطقي، محمد بن علي (ت ٧٠٩هـ)

٦. الفخري في الآداب السلطانية، الناشر: دار صادر، بيروت، ط الاولى، ص٣٢٦.

- ابن العماد: عبد الحي بن احمد بن محمد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ)

٧. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت، ط الثانية- ٢٠١٢م.

- ابن مسكويه: (ت ٤٢١ هـ)
٨. تجارب الامم وتعاقب الهمم وذيوله، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت، ط الاولى: ٢٠٠٣م.
- جواد: د مصطفى (ت ١٩٦٩م)
٩. مشهد الكاظمين (تح: الشيخ غزوان الكليدار)، الناشر: العتبة الكاظمية المقدسة، ط الاولى، ٢٠١٥م.
- جواد: د مصطفى (ت ١٩٦٩م)
١٠. رحلة ابي طالب خان (ترجمة.د مصطفى جواد)، الناشر: دار الوراق- بغداد، ط الاولى- ٢٠٠٧م.
- جواد: د مصطفى (ت ١٩٦٩م) ؛ احمد سوسة (ت ١٩٨٢م)
١١. دليل خارطة بغداد، مط: المجمع العلمي العراقي- ١٩٥٨م.
- الحموي: ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٣هـ)
١٢. معجم البلدان، الناشر: دار صادر - بيروت، ط الاولى - ١٩٩٣م.
- الخزعلي: سمير اموري رؤوف
١٣. الكاظمية في عيون الرحالة والمستشرقين (راجعه: مركز السيد هبة الدين الحسيني)، الناشر: مؤسسة السيد هبة الدين الحسيني، مط: دار الرافد - قم، ط الاولى - ٢٠١٨م.
- الخليلي، جعفر.
١٤. موسوعة العتبات المقدسة (قسم الكاظمين)، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط الثانية، ١٤٠٧هـ ج٩- قسم الكاظمية في المراجع الغربية، جعفر الخياط، ص٢١٥.

- الزركلي: خير الدين (ت ١٩٧٦م)
١٥. الاعلام، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، ط الخامسة، ١٩٨٠م.
- السماوي: محمد بن طاهر (ت ١٩٥٠م)
١٦. صدى الفؤاد إلى حمى الكاظم والجواد (شرحه: مركز احياء التراث في العتبة العباسية التابع لمركز المخطوطات)، الناشر: مكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة، مط: دار الكفيل كربلاء، ط الاولى، ١٤٣٦هـ
- الشرتوني اللبناني، سعيد الخوري
١٧. أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد، منظمة الأوقاف الشلون الخيرية، دار الاسوه للطباعة والنشر، طهران، ١٣٨٥هـ .
- العزاوي، عباس
١٨. تاريخ العراق بين احتلالين، المكتبة الحيدرية، قم المقدسة، ط الأولى، ١٤٢٥هـ، مط شريعت
- النقدي: الشيخ جعفر (ت ١٩٥٠م)
١٩. تاريخ الامامين الكاظمين وروضتهما الشريفة (تح: الشيخ غزوان سهيل الكليدار)، الناشر: العتبة الكاظمية- الشؤون الفكرية، ط الاولى، ٢٠١٤م، مط: الرافدين، بيروت.
- اليافعي: عبد الله بن أسعد (١٣٦٧هـ)
٢٠. مرآة الزمان، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط الاولى، ١٤١٧هـ

فهرس الكتاب

المقدمة..... ٣
التمهيد: الكاظمية المسوّرة والبدايات ٥
المبحث الاول: السور الكاظمي وقدم التأسيس ٩
المبحث الثاني: الكاظمية المسوّرة حاضرة مدنية ومجال علمي ١٥
المبحث الثالث: شاهق السور بين الرصد والمشاهدة ٢٣
الخاتمة ٢٦
الملاحق ٢٩
مصادر الدراسة ٣٥
الفهرس..... ٣٩